

شرعت في مناداة الناس الى مساعدتك على انشاء هذه المدرسة الى الآن فلها كما لك الفضل الاكبر علينا حتى في هذا العمل الذي كنا نود ان نكون مستقلين فيه

وانتم أيها السادة رئيس المدرسة واساتذتها وعمدتها لقد تفضلتم علينا فمحتم لنا ان نضع هذا التمثال في حماكم فاقبلوه منا واحفظوا به كرمنا منكم واكدوا ان لكم كما لرئيسنا الاول مثات من التماثيل ميثوقة في افطار المسكونة وهم رسائل حية لكم معروفة ومقروة من جميع الناس وبهم نفركم الاكبر ترونها في معترك الحياة بذلوت الصعاب بالقوى العقلية والادية التي استمدوها منكم . وغاية ما نرجوه الآن ان يكون عملنا هذا مقبولاً لديكم ولدي جمهور الفضلاء الذين تكرموا فشفروا هذا الاحتفال نسأل الله ان يرمخ فينا خلق الاعتراف بالجليل والشكر على المعروف حتى يتبارى فيه وتتافس لزال معاهد العلم ما وانتم شتموها . (يعقوب صروف)

اما الخطبة التي خطبها المنسوب فكانت بالانكليزية وسنشر ترجمتها في جزءه تال .

## فضل الشرق على الغرب

لم يتم حتى الآن دليل علمي على وطن الانسان الاول ولكن الادلة متوفرة على ان العمران ابدأ في المشرق واتصل منه الى المغرب ودعائم هذا العمران كثيرة اكبرها ما يلي

اولاً الدين — الاديان المشهورة التي لها الآن الشأن الاكبر في مصالح الامم اليهودية والمسيحية والاسلامية ابتدأت كلها في الشرق . ومما حاول اهالي اوربا ان يفتطوا فضل الشرق عليهم فلا يستطيعون ان ينكروا فضل الديانة المسيحية في تهذيب اخلاقهم وتشييد دعائم عمرانهم

ثانياً الكتابة — رأى بعضهم من النفوس التي اكتشفت حديثاً في جزيرة كريت ما استدل منه على ان الكريتيين استنبطوا الكتابة بالحروف الهجائية قبل غيرهم لكن العلماء المحققين ينكرون ذلك . ولا يزال جمهورهم يعتقد ان الفينيقيين اهالي سورية هم اول من استنبط الكتابة بالحروف الهجائية . وهب ان الفينيقيين لم يستنبطوها فهم الذين نقلوها الى اوربا وعلموا اليونان استعمالها ويكاد ذلك يكون امراً تاريخياً ولا تزال اسماء الحروف اليونانية دليلاً على اصلها السامي

ثالثاً الارقام الهندية — هذه الارقام اعترف العرب انهم اقتبسوها من الهنود كما يدل اسمها العربي واعترف الافرنج انهم اقتبسوها من العرب كما يدل اسمها في لغاتهم ولا مجال للشك

في هذين الامرين . ونوائد العلوم الحساية وكل ما بني عليها اعظم من ان تذكر وأكثر من ان تحصى . اتزع من العمران الحروف الهجائية والارقام العددية وما بني عليها فلا يبقى منه ربة . واقدم ما وجد من الكتابات العربية وفيه ارقام هندية قراطيس من البردي وجدت حديثاً في الفيوم تاريخها سنة ٨٧٣ للميلاد

رابعا الحك المنطيسي — ان جانباً كبيراً من العمران ومن تعبير المسكونة سببه سهولة الفريجيرا وللحك المنطيسي اليد الطولى في ذلك . ولقد كان الحك معروفاً ومستعملاً عند الصينيين في اوائل القرن الثاني من التاريخ المسيحي واستعمله العرب في اواسط القرن التاسع خامساً البارود — لا يرتقي العمران الا في زمن السلم ولا يدوم السلم الا اذا قويت معدات الحرب وخيف منها ولقد كان لاستعمال البارود اليد الطولى في تقليل الحروب وتقصير مددها واطالة ازمته السلم . والادلة متوفرة على ان الصينيين استعملوا البارود في اواسط القرن الثالث عشر وان العرب تعلموا عمله منهم في ذلك الحين فسموا ملح البارود تلج الصين . قال ابن البيطار تلج الصين هو البارود المعروف بزهره حجر اسبوس وقال في كلة اسبوس هو تلج الصين عند القدماء من اطباء مصر ويروى عامة المغرب واطباؤها بالبارود . وذكر حسن الرواح مقذوفات البارود في كتابه الذي ألفه بين سنة ١٢٧٥ و ١٢٩٥ للميلاد فقال انها بيضة تخرج وتحرق سادساً الطباعة — لامشاحة ان الطباعة من اتفع للختراعات للعمران ان لم تكن اتفعا كلها ولها اسامان لاغنى لها عنهما الاول استنباط الحروف الهجائية والثاني استنباط الورق والآن فالطباعة نفسها اتدى اليها الناس من عهد قديم منذ صنعوا الطوامم والخطوم ولكنهم لم يتوسعوا فيها لانهم لم يكونوا قد اتعدوا الى اساسها المهمين الحروف الهجائية المنقطعة والورق

اما الحروف الهجائية فقد تقدم ان الفضل للمشاركة في استنباطها وفي نقلها الى اوريا . والوراقة ادعمل الورق الفضل في استنباطها للصينيين فانهم كانوا يكتبون اولاً على القنا كما كان المصريون يكتبون على البردي ثم صاروا يكتبون على الحرير ونحوه سنة مئة للمسيح استنبط واحد منهم عمل الورق من القنب والخرق ولحاء الاشجار كما يعمل اللبد من الصوف ورأوا فائدة هذا الاستنباط فاكرموا صاحبه ورفعوا قدره

وذكر النعالي في كتاب لطائف المعارف ما نصه ” ومن خصائص سمرقند الكواغيد التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها احسن وانعم وارفق وافوق ولا تكون الا بها وبالصين . ذكر صاحب كتاب المسالك والممالك انه وقع من الصين الى سمرقند في سبي مباهم زياد بن صالح من اتخذ الكواغيد بها ثم كثرت الصنعة واستمرت

العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فعم خيرها والارتفاق بها في الآفاق“  
ويظهر من كتب التاريخ العربية والصينية ان زياد بن صالح قهر الترك وانصارهم من الصين  
في شهر يوليو سنة ٧٥١ للمسيح وهي توافق اواخر سنة ١٣٣ للهجرة وعلياً قد اتصلت الوراقة  
من الصين الى ممالك العرب في اواسط القرن الثامن ليليلاد  
ويظهر مما رواه ابن خلدون في المقدمة انه لما كان الفضل بن يحيى البرمكي والياً على  
خراسان عرف ان الصينيين يصنعون الورق في سمرقند فنقل صناعته الى خراسان ومن ثم  
انتشرت الوراقة في ممالك المسلمين وكان الورق الخراساني يعمل من الكتان على ما جاء في  
كتاب الفهرست قال ”والصين تكتب في الورق الصيني ويعمل من الحشيش واما الورق  
الخراساني فيعمل من الكتان ويقال انه حدث في ايام بني امية وقيل في ايام الدولة العباسية  
وقيل ان صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني“ . ظهر بالبحث  
المركسكوبي ان الورق المصنوع من الكتان اقدم من الورق المصنوع من القطن . وقد عثر  
بعض الاوربيين على رسالتين كتبتا سنة ٨٠٠ ليليلاد على ورق صنع في بغداد . ولم يكبد  
عمل الورق ينتشر في القطر المصري حتى اهمل عمل قراطيس البردي رويداً رويداً ولم يعد  
يصنع منها شي بعد القرن العاشر ولكن لم يصل عمل الورق الى جنوبي اوربا الا في القرن  
الثاني عشر وبلغ المانيا في القرن الرابع عشر

وانتقلت الطباعة من الشرق الى الغرب كما انتقلت الوراقة فان المصريين كانوا يطبعون النقوش  
على منسوجاتهم منذ القرن السادس . وكان الصينيون يطبعون على الورق منذ سنة ١٧٥ ليليلاد  
وانتشرت الطباعة في بلاد الصين في القرن السادس للمسيح وكانت عن صفائح خشبية وامتدت منها  
الى بلاد اليابان وجاء في سجلات اليابان ان الملكة شوتوكو اموت بتوزيع مليون من الهياكل  
الخشبية الصغيرة وقد طبع على كل منها آية من كتاب البوذيين فالانزهاها اشترا وكان ذلك  
سنة ٧٦٤ للمسيح وتم العمل بامرها سنة ٧٧٠ للمسيح . وقد وجد بعض هذه الهياكل الصغيرة  
ووجد فيها دروج عليها الكتابة المثار اليها بالحروف الصينية . ووجدت صفائح معدنية للطباعة  
تمتد في تاريخها الى سنة ٨١٦ للمسيح ووجد بعضهم كتاباً في الصينية طبع سنة ١٠٥٤ وفيه صورة  
المؤلف وصور اخرى . والظاهر ان العرب اقتبسوا صناعة الطباعة من الصينيين حال اتصالهم  
بهم فقد وجد في دفائن اليوم ثلاثون صفحة عربية مطبوعة من القرن التاسع والعاشر ليليلاد  
وفي بعضها حروف قطبية وفي بعضها اجزاً من القرآن دلالة على ان المسلمين لم يكونوا ينفون  
من طبعهم في المطابع حينئذ . ولم يكفوا بذلك بل كانوا يطبعون تقود الورق ويتداولونها فقد

جاء في كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامة انه "حضر جماعة من التجار ( الى الملك العادل ) وشكوا ان القرايطيس كان ستون منها بدينار وتزيد وتنقص فيخسرون فسأل عن كيفية الحال فذكروا له ان عقد المعاملة على اسم الدينار ولا يرى الدينار في الوسط وانما يعدون القرايطيس بالسعر تارة ستين بدينار وتارة سبعة وستين بدينار"

وظهر بعد البحث الدقيق ان اهالي كوريا اول من استنبط الطباعة بالحروف المنفصلة كما هو جار الان فقد قال الصينيون ان حداداً منهم اسمه ييشونغ صنع حروفاً للطباعة من الخروف بين سنة ١٠٤١ و ١٠٤٩ للميلاد ورأى بعض الباحثين في هذا الموضوع كتباً صينية مطبوعة بحروف منفصلة منذ سنة ١٣١٧ ولا يعلم ما اذا كانت صينية او كورية ورأى كتباً اخرى كورية الاصل طبعت بحروف معدنية واحداً منها طبع سنة ١٤٠٩ وفيه وصف الطباعة بالحروف المنفصلة ويقال فيه ان ملك كوريا رأى ان الطباعة عن الصفائح الخشبية لا تفي بالمراد فامر بعمل حروف الطباعة من النحاس على نفقته الخاطئة وكان ذلك في اواخر سنة ١٤٠٣ واولئ سنة ١٤٠٤ ويختم هذا الفصل بالصلوات والابتهالات لنجاح هذا العمل

والظاهر ان العرب تعلموا الطباعة بالحروف المنفصلة من الصينيين ولكن لا دليل على ان الاوربيين تعلموها منهم والمرجح ان الاوربيين اتصلوا اليها من تلقاء انفسهم ولكن لو لم يتعلموا من العرب عمل الورق ما كان للطباعة شأن يذكر وجملة القول ان الفضل لاهالي المشرق في دعائم العمران الدين والكتابة والارقام المنسوبة والحك المغنطيسي والبارود والوراقة والطباعة

## الصور في الطباعة

عبر الناس عن معانيهم بالصور المرسومة فلما عبروا عنها بالكلمات المكتوبة . ثم اختزلوا الصور فتولدت منها الكتابة بالكلمات اولاً ثم بالحروف . ولذلك تجد الصور في اقدم ما كتبه الناس او ارادوا التعبير به عن اغراضهم بل تجدها بين الآثار التي بقيت من عهد سكان الكهوف الذين كانوا يصيدون الفيل في فيافي اوربا قبلها غمرها الجليد في العصر الجليدي الاخير وقرض الايغال منها ولعل ذلك كان منذ اكثر من عشرة آلاف عام وكان المصريون يجمعون بين التصوير والكتابة في كل نقوشهم القديمة والحديثة من قبل التاريخي المسيحي باربعة آلاف او خمسة آلاف سنة الى ما بعده باربع مئة او خمس مئة سنة